الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ

محمد سيد حاج

رحمه الله

شرح كتاب مدارج السالكين · الحلقة 32

منزلة الرجاء

للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله

نص مفرَّغ من التسجيل وحُرِّر للقراءة: صُحِّحت فيه الهمزات والترقيم والآيات، وحُذفت مواضع لم يتبيّن فيها الكلام. المرجع هو التسجيل الصوتي.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الامين، وعلى اله واصحابه اجمعين، منزلتنا اليوم من كتاب مدارج السالكين عن منزلة الرجاء، ومنزلة الرجاء مقام من اجل مقامات الايمان، وذلك لان كما يسميها ابن القيم المنزلة الولادة، فالرجاء ليس مجرد منزلة في العبودية او مقام من مقامات الايمان فقط، فهو يولد مقامات اخر، فالرجاء يولد المحبة، لانك اصلا لا ترجو الا من تحب، اما الذي يبغضك وتبغضه لا ترجو منه شيئا، فالرجاء لا شك انه يولد المحبة، وذلك لانك بعد ان ترجو الله ويعطيك تزداد له حبا لانه اجابك ولانه اعطاك ولانه ما خذل رجاءك ثم بعد ان يعطي تحبه الرجاء يولد الشكر، لانك اذا رجوت واحببت واعطاك فما ثمة بعد الرجاء الا ان تشكر من اعطاك، فالرجاء من المنازل الولادة والمقامات العظيمة، هذا الرجاء هو موجود عند اهل الايمان بعدد انفاسهم لانهم يفتقرون الى الله ويحتاجون اليه بعدد انفاسهم وفي كل شيء، او ضرب من دروب حياتهم في دنياهم يحتاجون الى معاونة الله وتسيير امورهم، وتسهيل احوالهم، واعطائهم ثم في مقامات الاخرة، الرجاء ايضا يجعل المؤمن دائما في صلة مع الله ودعاء وسؤال وطلب ان يرحمه الله ان ينجيه الله من العذاب ان يغفر له ان يرفع درجته ان يرحمه وهكذا فالرجاء من المنازل المهمة بدأ ابن القيم قبل ان يتكلم عن كلام الهروي بقوله سبحانه ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ يقول ابن القيم جمعت الاية مقامات الايمان الثلاث.

الحب والخوف والرجاء، الحب في قوله يبتغون الى ربهم الوسيلة اي اهل الايمان يسعون دائما الى ان يتقربوا الى ربهم، واجل ما يقرب العبد الى ربه عبوديته وحبه، في حاجات اكتر من كده؟ اكتر شيء تقربك الى الله شنو؟ حبه وعبوديته، فابتغاء الوسيلة اليه دلالة ايمان وحب، يرجون بذلك رحمته ويخافون عذابه، ابن القيم له نظرة، يقول رحمه الله وهذا سوف نعرف في ثنايا الكلام ان الرجاء والحب والخوف يستلزم كل الاخر المحبة تستلزم رجاء ما في محبة بدون رجاء هل ممكن ان تحب وانت لا محبوبة؟ هل يمكن هذا؟ فالمحبة تستلزمه شنو؟ رجاء، ولكن السؤال هل المحبة تستلزم الخوف؟ المحبة تستلزم الرجاء، انت اذا احببت محبوبك وتطمئن اليه وتثق فيه على حسب معرفتك به، الناس اللي بيقول لك ما بندعوا الله لانه نحنا وسخانين وفيه ناس نضيفين اكتر مننا لله، ده زاته اول حاجة الله بيقبل لكم كده زاته، لانك بدأت اساءة الظن بالله، الله يقبل ليه كده؟

فعلا الله يقول ليك، يا اخوانا انت بترجو الله؟ لا شك انك تحبه، تحب الله؟ لا شك انك ترجوه، هذا واضح، لكن هذه المحبة تستلزم الرجاء، المحبة تستلزم الخوف يعني ممكن تحب الله وتخاف منه؟ هل مجرد حبك لله يولد في دواخلك خوف منه؟ هل اذا احببته تخافه؟ ان تخاف فوات محبوبك اليس محبوبا؟ فانت تخاف ان يفوتك او تخاف ان يحتجب عنك او تخاف من كثرة حبك اياه اي يطردك من بابه وانت تحبه لا تريد ان تكون بعيدا عنه، فالمحبة ايضا تستلزم الخوف، خوف فوات المحبوب وخوف احتجابه عنك وخوف خوف ابتعادك منه لانك تحبه اذا احببت شيء حبا شديدا اكثر شيء تخافه ان يفوت منك هذا الذي تحبه لذلك المحبة تستدعي الخوف اذا عرفنا ان المحب تستلزم شنو؟ الرجاء، وان المحبة تستدعي شنو؟ الخوف، هل الرجاء يستدعي الخوف؟ وهل الخوف يستلزم الرجاء؟ زول بيرجوا الله، هل بيكون خايفه؟

هل هذا ممكن؟ ممكن؟ انك ترجوه، وفي نفس الوقت تخافه، بانك مع رجائك اياه، تخاف من نفسك ان تدخلك في اشكال او ان تحرجك مع ربك، صح ولا ما صح؟ اعطاك واداك وسوى لك، خائف انك انت ما تقدر شنو؟ ما تقدر توفي حق نعمه عليك، وكذلك العكس، انت بتكون خايفه وده واضح، كل ما خفته كلما رجوته يفوتك والا يعذبك وانت خايف بتقول له يا الله بترجوه خوفك ان يفوتك يجعلك انت كثير الالحاح كثير الطلب كثير الاقبال عليه الا يفوتك سبحانه وتعالى، هنا يقول الله تعالى في قوله ﴿مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ وهذا نوع من انواع الرجاء، الرجاء في لقائه، ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ تعرف انه الرجاء والخوف مع بعض سوا، مطلقا لفظ الرجاء في القرآن ويراد به الخوف، ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ ما لكم لا تخافون؟

فعبر عن الخوف بشنو؟ بالرجاء، لان كلاهما يستلزم الاخر، وخلاصة ذلك ان المؤمن لا يقول انا اعبد الله بالرجاء فقط او اعبد الله بالخوف فقط او اعبد الله فقط على المؤمن ان يجمع مقامات الايمان الثلاث ان يكون في كل احواله خائفا محبا راجيا، عرفتم؟ طيب، مثال ذلك طائر، رأسه المحبة، رأسه المحب وجناحاه الخوف والرجاء، معناها القدام وين؟ المحبة قدام، والرجاء والخوف مستويان، يقدم الرجاء في اخر العمر احسان الظن بالله، لا يموتن احدكم الا وهو الظن بالله، ويقدم الخوف ايام الشباب وعنفوان الشهوة الجاما لها وتخويفا وقهرا لسلطانها، لذلك الخوف والرجاء والمحبة الطائر عنده وجناحان فاذا شبهنا الخوف والرجاء والمحبة بطائر رأسه المحبة وجناحاه شنو؟ الخوف والرجاء اذا كان وجد الرجاء ولم يوجد الخوف لا يستطيع الطائر ان يطير وان وجد الخوف ولم يوجد الرجاء لا يستطيع الطائر شنو؟ لان المبالغة في الخوف تفضي الى اليأس من رحمة الله، والمبالغة في الرجاء تعطل الانسان عن الاعمال الصالحة، ولا تقهر نفسه عن السوءات والعيوب، فالجمع بينهما اولى، طيب، من احاديث الرجاء قوله سبحانه تعالى يقول الله انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء.

تظن بالله خير بيديك، تظن بالله سوء والظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء، يقول لك يا اخي الله ما بيديني، دا نوع بتاع انه انسان عاجز وضعيف، كويس؟ وهكذا هذا من جهته جهلهم، تعريف الرجاء، الرجاء حازم يحدو القلوب يحدو القلوب الى بلاد المحبوب، ابن القيم والله يا اخوانا يعني انا ارى ان ابن القيم قد وفق توفيقا شديدا في كتابته حتى النقلة الذي سوف انقله الان ليس من المدارج ولا منزلة الرجاء، ولكنه حديث لابن القيم عن الرجاء في كتاب اخر، الرجاء بالنسبة للمؤمن كالمركب الذي عنده شراع، ليتحرك المركب لابد من ريح تدفعه، والرجاء هو الريح التي تدفع مركب الانسان الى الاخرة، تتذكر الله بتتذكر رحمته بتتذكر الجنة بتتذكر اشياء يدفعك هذا ويحركك، عشان كذا قال حاد يحدي القلوب يحدو القلوب اي يحركها ويسوقها، الى بلاد المحبوب وبلاد المحبوب الجنة، وكتب ابن القيم حادي الارواح الى بلاد الافراح، كتاب كامل عن الجنة، سماه حادي الارواح الى بلاد شنو؟

الى بلاد الافراح، ولذلك الرجاء يطيب السير، يجعل سيرك الى الله طيبا، ثم الرجاء استبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى، انت تسمع اشياء ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ ﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ ان الله يبسط بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، فاسمع هذه الاشياء فيحصل لقلبك نوع من انواع الاستبشار، واسماه ابن القيم الارتياح لمطالعة كرم

الله، انت لما تشوف كرم الله كتير وعظمت يبدأ شيء من الارتياح في قلبك ترتاح، الرسول قال للصحابة يضحك ربنا احاديس زي دي كتيرة، يضحك ربنا الى رجل فعل كذا يضحك ربنا، فقال ابن مسعود والله ما عدمنا الخير في رب يضحك، اذا كان ربنا بيضحك لا نعدم الخير في رب يضحك، وهو ضحك يليق بشنو؟

بجلاله سبحانه، على الوجه الكمال، ربنا بيغفر للعباد في ليلة النصف من شعبان يغفر لعباده بعدد شعر غنم كلب، قبيلة اسمها كلب، يغفر لعباده يوم عرفة، كويس؟ وما رؤي الشيطان في يوم ادحر ولا احقر ولا اغيظ من يوم عرفة لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام، وقال انه لو كان معك مثل رمل عالج غسلها الله عنك، ذنوب يعني تسمع احاديث زي دي تطمئن، لكن المسألة دي ليس بالمقايسة انما بالاولى، هسا يا اخواننا في ناس في الدنيا كريمة، في البشر في ناس كريمة، انت ما تقايس الله برضو كريم قول من باب اولى ان يكون الله كريم اذا كان هذا كرمه بما اعطاهم الله فكيف بكرم الله تعالى؟ انت دلوقتي شوف المسألة دي يوم عرفة بتلقى ناس الواحد جايب له تنكر من هنا لحد داخل الجامع ذا مليان وجبات يوزع للناس، دا كرم عباد الله يوم عرفة، فكيف بكرم الله يوم عرفة؟

كيف بملك الملوك وعلام الغيوب؟ اخوانا الكرم بتاع ربنا انت طالعته يرتاح قلبك ويولد مطالعة كرم الله رجاء في القلوب رجاء عظيم يقول ابن القيم الرجاء الثقة بجود الله سبحانه وتعالى وبكرمه، ان تثق به اخواننا كثير من الناس بيتعامل مع الله ولا يثق بالله، يا اخي اصلا خليك قوي، قل والله بدينا، والله العظيم ما حرمنا، وهكذا، وان منكم من لو اقسم على الله لابره، لكن ابن القيم يرى ان هنالك فرق كبير بين التمني وبين الرجاء، ويرى ابن القيم ان الفرق بين التمني وبين الرجاء التمني بدون عمل، والرجاء مع العمل، الصحيح ولا ما صح عشان كده ربنا سبحانه وتعالى ذم اقوام ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ لا تريد ان تعمل وترجوا ترجو ماذا؟ حدث الله عن الذين امنوا وعملوا الصالحات قال اولئك يرجون رحمة الله قدموا شيء ثم بعد ذلك انتظروا ويخافون عذابه قال من اراد ان يزرع قال سوف ازرع الارض واحدثها وسوف افلحها وسوف احصد ولم يفعل شيء واخر حرق وزرع وسقى وينتظر الثمر ويبدو النتيجة ده عنده رجاء وذاك عنده تمني.

الرجاء مع شنو؟ مع العمل، والتمني مع الكسل، طيب، يرى ابن القيم رأي عجيب، يرى ان النظر الى عيوب النفس تشوف عيوب نفسك وافات العمل انت قول والله شوف انا زول بغضب بسرعة عندي حسد بحسد انت اعرف بنفسك ممن حولك لانك لا تبدي ولا تظهر لهم الا المحاسن، الناس شايفينك نضيف قيافة؟ ريحتك ما شاء الله ما شاء الله اي زول شم ريحتك؟ الناس خباياك ما عارفنها، يقول فلان ده اسأله كيف

محترم جدا وزول فاضل وكده، لا يعرفون خباياه، لكن الا تعرف خبايا نفسك؟ ان كنت لا تعرف خبايا نفسك فهذا هذه اولى الافات، واعظم السيئات واكبر السوءات ان تتوارى استحياء وان تغض الطرف عن حقائق نفسك انت عارف روحك، واجه نفسك بهذه الحقائق، انا فيني كسل، فيني كده، فيني شهوة عالية، قال يفتح على السالك بابان باب خوف وباب رجاء باب خوف وبرجاء، باب الرجاء علمت التقسيم، فتقدم لله الاعتذار وترجو الرحمة، تقول يا الله وما عندي حاجة وانا ضعيف ارحمني بس، لا تتعالى على الرجاء، ان ترجوا الله لانك عرفت حقائق نفسك، وتخاف ايضا ان يأخذ بذنوبك وان يعاقبك بافاتك كذلك تخافه.

فالاطلاع على عيوب النفس يولد ويفتح على النفس بابان باب خوف وباب رجاء، باب الخوف خشية عقوبتك بما انت عليه من حال، قال والله لو علموا قبيح سريرتي لابى السلام علي من يلقاني، لكن سترت معايبي ومسالبي وحلمت عن نقصي وعن عصياني، فعلا لذلك انت تخاف ان يأخذك وكذلك ترجوه تقول انا ضعيف وما عندي شيء حتى ان تستقيم وان يقوم عوجك وان يستقيم وان يصحح اعوجاجك انما يكون برجاء الله ان يرحمك وبرحمته ان يقومك على الطريق، طيب ناقش ابن القيم مسألة عجيبة من مسائل الرجاء، قال فيها ايهما اقوى رجاء؟ من فعل الطاعة ورجا اذنب ذنب ورجاه الذنوب بتجيب رجاء ولا بتجيب رجاء؟ اذنب؟ اللهم اغفر لي، اللهم ارحمني، اللهم لا تعاقبني، اللهم استرني، وكذا، صح؟ ايهما اقوى؟ رجاء الطائع بعد ما عمل الطاعات ورجاء الله ام رجاء العاصي، قال ابن القيم رجح الطائفة رجاء الطائع قالت بقوة اسباب الرجاء لقوة اسباب شنو؟

الرجاء يكون عنده عمل، ربنا قال ترجوا لي بعد ما شنو؟ بعد ما تعمل بقوة اسباب الرجاء، وسوف يدعو بثقة وبقرب وطمأنينة وسكينة، وقالت طائفة رجاء المذنب اقوى لماذا؟ قال لانه مجرد عن رؤية علل العمل، ومقرون بذلة الذنب، الرجاء اقوى لان معه لانه معه شنو؟ انكسار وذلة، ومهانة شديدة، ولذلك اسباب الرجاء عنده اقوى، سبحان الله يا اخواننا في اثر يتكلم عنه ابن القيم دوما لكن ليس في المدارك، يقول في البخاري حديث عن عن النبي عليه الصلاة والسلام انه كان في من كان قبلكم امرأة كانت من بغايا بني اسرائيل، خرجت في صحراء فوجدت كلب عطش، فنزعت موقها، الموق ما تلبسه المرأة، فنزعت موقها، ووضعت للكلب ماء ثم اذنته اليه فشرب فلقيت الله فغفر لها بسقياها كلب، حديث البخاري ابن القيم حاول يتكلم عن هذا الحديث يتعمق يتعمق في في قوة معاني هذا الحديث، قال غفر لها ليس بسقيا الكلب، الزنا من كبائر الاثام، غفر لها في قلبها من الانكسار والذل لله عز وجل، ودليل ذلك انها سقت كلب في صحراء، فهي لا تريد من الناس جزاء ولا شكورا.

وهذا ابلغ في الاخلاص، ثم انها سقت كلب، وهذا ايضا ابلغ في الاخلاص، لان الكلب لن يفيدها شيء، لن يشكرها الناس لانهم لا يرونها، ولن يشكرها الكلب لانه لا يقدر على ذلك، ذنوبها القديمة ومعاصيها وجراحاتها وذكرياتها السابقة وضعتها امام عينها ففعلت هذا بالتقرب والانكسار لله فلما قارن سقي الكلب اخلاص نيته وانكسار قلب وذل في صحراء اجتمع هذا مع سقيا الكلب فكان بمثابة من كفر الزنا وان كان كثيرا، او انها صادفت ساعة اجابة، ولحظة قبول، اخوانا ربنا السعيد بيقوم يسأل الله او يعمل عمل في ساعة ربه يكون في في رضا عنه فيقبل العمل في تلك الساعة فيرضى عنه، يعني ان تفعل الطاعة هذا سهل لكن ان تصادف الطاعة ساعة قبول ورضا، هذا هو المقام الحالي، والشرف السامي، طيب، قام ابن القيم كانه رجح هذه المسألة، فنقل كلام يحي بن معاذ، كلام متين قال رحمه الله يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع اعمالي، قال لما يكون عنده ذنوب ويرجو الله وبيكون منكسر وبيقول لي الله بس انا ما عندي اعتماد الا على رحمتك انت، لكن لما يكون في عمل يقول برضه العمل ده بيدينا دفرة.

عرفته؟ فقال يكاد رجائي لك مع ذنوبي يغلب رجائي لك مع اعماله، ليه قال لاني اجد نفسي في الاعمال اعتمد على الاخلاص، صح ولا ما صح؟ العمل ده كان ما مخلص فيه بيتقبل؟ ها؟ فكيف اصفيها؟ واحرزها وانا بالافات معروف، انا بالافات شنو؟ معروف، واجدني حال الذنوب اعتمد على عفوك، وكيف لا تغفرها وانت بالجود موصوف؟ والله اخوانا الكلام ده، كلام عجيب، هو قال لي الله اعمل العمل ولا استطيع ان اصفيه اخلاصا لاني من افات معروف، ولكنني اذنب الذنب واعتمد عليك لتغفرها انك بالجود موصوف، كلام عظيم جدا، قال صاحب المنازل الرجاء اضعف منازل المريدين، اضعف منازل شنو؟ المريدين، لانه معارضة من وجه، واعتراض من وجه، وقوع في الرعونة في مذهب هذه الطائفة، ده كلام الهروي، وفائدته واحدة، وفائدة واحدة نطق بها التنزيل والسنة وتلك الفائدة في الرجاء هي كونه يبرد حرارة الخوف حتى لا يفضي بصاحبه الى اليأس، كلام منو؟

كلام الهرم، يرى ابن القيم ان هذا الكلام كله خطأ، الكلام ده كله خطأ، لكن ابن القيم منصف والانصاف عزيز كما قال الامام ما لك، الانصاف عزيز، اخواننا الناس لا يحسنون التعامل مع مشايخهم واساتذتهم وعلمائهم، انت بتكون داير الشيخ ده يفتديك بفتوة معينة، في زول يكون داري من الشيخ موقف معين الشيخ ما وقف الموقف دا لاعتبارات يعرفه برضو يطعن فيه وفيه شيخ يطعن فيه لانه ليس من الطائفة والجماعة ما معنا في جماعتنا طالما ما معانا في جماعتنا هذا كله من عدم الانصاف والانصاف عزيز اخواننا ابو بكر القاضي ابو بكر ابن العربي رجل عالم صاحب تفسير احكام القرآن، وصاحب العواصم من القواصم

وصاحب شرح صحيح مسلم، رجل عجيب ذهب الى الاندلس بعض الناس في جلسة فذكر حديث والوهم يدخل الناس قال لعله في البخاري فذهبوا الى البخاري فلم يجدوا الحديث الناس ناقشوه ديل ما وجدوا الحديث وكل بالنسبة له تلاميذ، فالفوا فيه قصائد يهجونه ويتهمونه بالكذب، قالوا الشيخ كداب، يا اخي قال في الصحيح البخاري وقوهم لعله افترض عليه حديث اخر مثله، لكنه حافظ له الاف الاحاديث.

بيختلط عليه حديث ابو هريرة وحديس انس انت ما تعرف الا حديث ابو هريرة بس، او حديث ابن عمر؟ بني الاسلام على خمس بتعرفوا الاف الاحاديث اختلط على وهم رد عليهم الذهبي قال والشيخ ابو بكر ابن العربي لم يكن كذاب ولكنه وقع في الفهم ولكن الطالب اساء الادب واستطال على العلماء والانصاف عزيز، الانصاف عزيز انت تنصف الزور شف ابن القيم قال في اول كلمة قبل ما يغلطه قال شيخ الاسلام الهروي حبيب الى نفوسنا والحق احب منه، قال لهم شيخ الاسلام حبيب الى نفوسنا، والله بنحبه، لكن الحق احب الينا منه، وبعدين ولكنه الخطأ الذي في كلامه، لكن شوف الادب، يا اخوانا، ابن القيم، والله ابن القيم ده نفسه عجيب خلاص، قال اولا قبل ان ننقض كلام الهروي قال نحمله على احسن المحامل وبعده نقضوه ادب ولا ما ادب؟ قال ونحن نحمل كلامه على احسن المحامل، والله يا اخوانا الانصاف مهم، قال ابن القيم رحمه الله الهوى يقول الرجاء اضعف منازل المريدين، وهل هذا صحيح هل هذا صحيح؟

الرجاء قمة، مقامات المؤمنين، وصف الله به انبياءه، كيف يكون اضعف منازل شنو؟ المريدين، لكن ماذا قال ابن القيم؟ قال ولعل الهروي يقصد ان الرجاء اضعف منازل المريدين بالنسبة لما فوقه من مقامات، مثل الاخلاص والمحبة والمعرفة، والتوكل وليس هذا معناه ان الرجاء في نفسه ضعيف، كيف يكون الرجاء ضعيفا وهو عبودية؟ يتعبد بها رب العالمين، وبدأ يحكي له كيف الانبياء يرضوا ربهم؟ ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ ويتكلم عن الانبياء، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ رد علوه بالقرآن والسنة، واخبره ان في القرآن والسنة الرجاء من اعلى مقامات المؤمنين، ولكن قال لعله يقصد بما فوقه من مقامات، كاخلاص ومحبة ومعرفة وليس ان الرجاء في نفسه وفي ذاته ضعيف، طيب اما قوله قال له ان الرجاء ليه قال؟

الهروي يرى ان الرجاء اضعف المقامات ليه؟ قال لانه معارضة من وجه واعتراض من وجه اخر، شوفوا الحروي، قال معارضة، ليه؟ شوفوا الكلام دا، قال لان العبد يرجو ربه فيطلب من الله شيء، انت لما ترجوا ربنا بتكون داري منه حاجة، احسان مغفرة زيادة مال صح ولا ما صح؟ اصلاح ذرية اصلاح احوال صح ولا ما صح؟ ها؟ غفران ذنوب؟ العبد يرجو ربه يريد من الله شيء، ولكن قد يكون مراد الله الا يعطيك، ده معنى كلام الهروي ان الرجاء اضعف منازل المريدين، لانه معارضة من وجه واعتراض من شنو؟ من وجه اخر، معارضة كيف؟ معارضة قال انت تريد من الله شيء ولكن مراد الله ان تستوفي حقوقه يعني تقوم بالواجبات كلها لقانا لك وان يعاملك بعدله وقد يكون عدله ان يحرمك انت تطلبه وهو يريد ان يحرمك هذا نوع من المعارضة لو بتتعارض معه يعني، ده كلام منو؟ كلام الهروي، قال وهذا ينافي الاستسلام والانطراح والانقياد التام له، قال ابن القيم الرجاء ليس معارضة، انما استسلام وانقياد لانك اذا رجوت الله حال رجائك معترف له بالفضل، فاعلم ان الامر كله عنده وان قدرة كلها عند وتنطرح له وتجد في ذلك عبادة وانكسار وانقضاء واستسلام بانك ترجوه ولا ترجو سواه.

اي معارضة هنا؟ قال ابن القيم ام دا الدين؟ دي النصوص، الانبياء بيدعوا الله الانبياء ليس هذا فيه اعتراض انما انت لا تعرف حكم الله عليك قد يكون حكم الله انه كتب عليك ان يرفع البلاء بسؤالك ورجائك له ليس هذا هو الاستسلام ترجوه ثم اذا لم يعطك تستسلم وتقول لعله لخير، لكن ان تمتنع عن الدعاء مباشرة وتقول ان الامر مكتوب هذا هذا عدم تعاطي للاسباب، عن الدعاء وهذا كلام ابن القيم ورده على الهرو واضح ولا ما واضح؟ قال القلب اذا رجا الله، قال فاذا لم يعطه ربه ما اراد، يعترض ويحس في نفسه ولا يرضى وعدم الرضا نوع من الاعتراض، كلام الهروي اللي حمله ابن القيم على احسن المحامل، قام ابن القيم قال شنو؟ قال واذا قال الهروي ان الرجاء معارضة من وجه واعتراض من وجه اخر نقول الرجاء عبودية، كلام مختصر نسف كلامه ده كله، قال الرجال شنو؟

عبودية، شوف الرد المتين، ولا يتعلق بالمطلوب، من الدنيا الذي تريده، انما يتعلق باسمه المحسن، البر الرحيم، الكريم الجواد العفو الغفور الكريم المحسن يتعلق بهذه الاسماء، لانه لولا هذه الاسماء لما رجاهم، فالرجاء لا يتعلق تريده بقدر ما يتعلق باسماء الله وصفاته، انت ترجوه هذه الصفات طيب قلنا ان ابن القيم يدافع عن الرجاء والهروي يقلل من شأن الرجاء، يقول ابن القيم قوة الرجاء تكون على حسب قوة بالله وباسمائه وصفاته قال ابن القيم ولولا رح الرجاء لتعطلت الجوارح من الطاعات، منزلة الرجاء في مدارج السالكين، كم تستوقفني هذه العبارة طويلا؟ فيها تجسيد لمعاني الرجاء، في صورة حسية، قال ولولا ريح

الرجاء الطيبة لما جرت سفن الاعمال في بحر الارادات، لولا ريح الرجاء الطيبة لما جرت سفر شنو؟ الاعمال في بحر شنو؟ الايرادات، الايرادات زي البحر، الايرادات متعارضة، في ارادة بتقول تصلي وفي ارادة بتقول له شنو؟ صلي بعدين في ارادة بيقول لك امشي الجامع احضر الكورة الليلة المسخنة الصلاة هنا ما بجوز احضر الكورة وصلي هنا اصلي العشا كل يوم اخره يكون احسن، في المسجد والجماعة، وليس لوحدك، اما اذا كان في المسجد وفي جماعة الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا.

الارادات متعارضة، اراد الخير وايرادة الشر، في بحر الايرادات ريح الرجاء الطيب، انت تقول كان مشيت الجامع ارادة الخير بما رجوت من العمل الذي سوف تعمله او ما رجوت سوف تجده من من التحفيز والحافز والعطاء الذي سوف تجده، ريح طيبة لما جرت سفن الاعمال في شنو؟ في بحر الارادات، ثم قال هنالك ابيات قد الفتها ابن القيم وده زمان العلماء كان الواحد بيألف وبيفتي وبيألف شعر بيكتب شعر وبينشد وبيخطب وبيشيل السيف يمشي جاهد كان يجتمع فيه من الخير والبركة والفضل الكثير يقول لولا التعلق بالرجاء تقطعت نفس المحب تحسرا وتمزقا، وكذلك لولا برده بحرارة الاكباد، الرجاء عنده برد على حرارة الاكباد، ذهبت بالحجاب تحرقا، هي محجوبة عن الله وهي خائفة، لولا هذا الرجاء لاحترقت هذه الاكباد، ايكون قط؟ حليف حب لا يرى برجائه، لحبيبه متعلقة، ممكن تتصور يكون بيحب وما بيتعلق بحبيبه؟ ام كلما قويت محبته له قوي الرجاء فزاد به فزاد فيه تشوقا، كل ما الرجاء ازداد كل ما ازدادت تشوقا لمحبوبك لولا جاء يحدو المطي المطية لما سارت بحمولها لديارهم ترجو اللقاء، ده كلام عجيب، ابن القيم يا اخوانا اي شيء الرجاء يحركه.

قال الانسان يمكن يقطع مسافة طويلة، كلما اشتدت وطأة السفر تذكر الامر الذي هو الذي يقصده في السفر، ممكن ماشي لحد امريكا، الطيارة قدر ما يتعب فيها، لما يتذكر انه فيصل بعد قليل وسوف يحقق مراده عليه متاعب السفر، يقول حسن يلاقوني في المطار، وامشي الاقي الناس يتصوروا هم ويتخيلهم، فيبدأ ينشط، وكذلك العبد، كلما تذكر ربه وازداد نشاطا في العبادة وازداد همة للقاء، فمن كان يرجو لقاء الله، طيب، يرى ابن القيم ان الرجاء به حياة الروح، الرجاء به حياة شنو؟ الروح، وبالرجاء حياة شنو؟ حياة القلب، قال كيف لا؟ قال وهو لا يعارض، ولا يعترض، انما هو مستسلم، ولانه يعلم ان المنع والعطاء عند واحد يرجوه بقوة وينطبح بين يديه بعبودية فاذا اعطاه شكره وحمده واثنى عليه واذا منعه صبر واثنى عليه ورأى

ان هذا من الخير الذي كان به ابن القيم جاب قصة حاجة احكيها لكم بعد شوية قال ابن القيم الراقي ليس معارضا ولا معترضا بل راغبا وراهبا مؤملا لفضل ربه حسن الظن به، تعلق امله بربه ببره واحسانه، اين الاعتراف هنا؟

في اعتراف؟ طيب قال الرجاء من الاسباب، التي ينال بها رحمة الله، وهو من اقوى الاسباب، الدعاء سببه، تقول انا كان دعيت الله معناها معترض على شنو نزلوا به؟ مسلا جاك مرض لو قلت له الله اشفيني؟ كويس؟ اعترضت هل هذا صحيح؟ الم يقل نبي؟ اللهم رب الناس؟ اذهب البأس ازا كان الدعاء اعتراض يكون برضو اعتراض، الله جاب لك معناه ويشيل المرض ده منك، لكنه ابتلاك ليختبرك، واعطاك اسبابا تتدا بها ليعافيك، واذا مرضت فهو يشفين، والكل منه ولكنه يريدك ان تتعاطى الاسباب، صح ولا ما صح؟ وان تعمل بها، لذلك يقول ابن القيم رحمه الله الرادي يتعلق بمحبوبه ولا يعترض عليه، ده خلاصة رد من؟ رد ابن القيم رحمه الله، ليه؟ شف الرد ده، قال ليس لله ثأر على عبد من عباده لينتقم منه، يعني الله ما عنده ينتقم منه، لكن ابتلاء وفتح له اسباب بل المرض والابتلاء من اجل ان تدعوه، ليه؟

شف قال لك ابتلى الله عبد من عباده بشيء، قالت الملائكة لله عبدك فلان من الصالحين، عليه البلاء، يقول الله لهم احب ان اسمع صوته، عشان نقول شنو؟ يا الله، يا رحمن، يا لطيف الطف بي، قال سبحان مستخرج الدعاء بلاء فلذلك حتى لما ابتلى العبد ابتلاه ليرجوه وليس لينتقم منه، لان الله ليس له عند عبده ثأر، كلام متين، طيب، تاني الهروي يقول وهذا من الرعونة، وابن يرد عليه يقول واي رعونة هنا؟ ثم تكلم عن احوال الانبياء الذين سألوا ولجأوا ودعوا الله قالوا هل كانوا اهل رعونة؟ الصديق كان يقول اللهم اني ظلمت نفسي ظلما كثيرا، ولا يغفر الذنوب الا انت، والنبي كان يقول اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك لا احصي ثناء عليك، طيب، قام ابن القيم جاب القصة قلتها لكم قبل شوية، ابن القيم قال يا اخوانا فرق بين من؟ يمارس الرضا باقدار الله، وبين من يدعي باقدار الله، قال واحد يقول لك الله اي حاجة يعملها لك انت ما تعترض عليها، معناه ما تسأل الله تقول له شيله مني، ده كلام ابن القيم.

ما تمشي تتداوى؟ هذه اسباب، ابتلاك الله لحكمة، ولكن لم يمنعك تتعاطى الاسباب بل من كان بامكانه ان يتعاطى الدواء، وهو يعلم انه يمكن ان يشفى به وامتنع حتى ما كان عند كثير من الفقهاء منتحرا، لانه قال ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ ولان امرك ان تتداوى قالوا يا رسول الله اذا كان كل شيء مكتوب فلم الدواء والدعاء؟ قال هي من قدر الله، ولما سئل عمر لما فر من الطاعون قالوا افرارا من قدر الله؟ قال نفر من قدر الله الى قدر الله، ابن القيم حكى قصة واحد اسمه سمنون كان بيقول لي الله يا الله

يبتليني وده في الشريعة ماله؟ منهي عنه لا يسأل ولا يتعرض احدكم لشو؟ للبلاء وانما يقول اللهم عافني يطلب العافية، يا رب ابتليني، واي ابتلاء تبتليني به تعذبني عندي لذة، قال ابن القيم فابتلاه الله بعسر البول، حبس بول، قال فصار يهيم على وجهه الى اطفال المدارس يقول ادعوا لعمكم الكذاب وما قدر يتحمل، عافيتك اوسع لي من شنو؟

من ذنوبي، طيب، اظن بقيت الرجاء على ثلاث درجات، قال الرجاء على ثلاث درجات، الدرجة الاولى رجاء يبعث العمل العامل على الاجتهاد صحيح، الرجاء بيخلوا الزور ده يعمل، قال لك في جنة في نار في كدا في انت بتقوم دا بيخليك تعمل ما في ذلك شك قال ده الهروي ويولد التلذذ بالخدمة، خدمة من؟ خدمة الله، قال لك اللي بيقوم الليل بيلقى كذا اجر، وقمت تتعبد كلما طالعت انك تناجي الله وانك تخاطب الله وانك تتكلم مع الله وانه نزل اليك في الثلث الثلث الاخير من الليل، كلما طالعت ثمرات بقلبك كلما ازددت تلذذا بهذا العمل، لانك ترجو نهايته وتؤمن عواقبه، طيب قال وكذلك الرجاء في الدرجة الاولى يوقظ الطباعة للسماحة، قال الطباع يا اخوانا بنفس البشرية مطبوعة على اشياء على حب اشياء من ذلك حب النساء كان الرسول يقول حبب لي من دنياكم الطيب والنساء في اشياء محببة للنفوس المال ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ ياخذ زول يكوس الشركات يقول لك قدم استقالته من الشركة دي ما اقدرش الشركة التانية بيدوه النفوس محبوبة على اشياء الرجاء الاخرة يجعلك تترك المحبوبات سماحة.

يعني تسمح نفسك بان شنو؟ بان تتخلى عنها، وخاصة الاشياء التي توقع في الحرام، في نوع من انواع المال ممكن تكسبه، لكن يفضي الى المهالك، الرشوة والغش خداع والربا اعوذ بالله مثل هذا، الدرجة الثانية قال رجاء ارباب الرياضات، الرياضات الذين يجاهدون انفسهم بان يتركوا مألوفات، في اشياء الفوها، في اشياء ما حرام لكن الانسان الفة، الجبل الجبل حرام؟ ما حرام، لكن انت ما تطهن نفسك للجبل، ما تشربه بحيث انه يوم ما ما تلقاها يقول لك؟ يقول لك الليل ما شربت الجبل قال، انت ممكن تجاهد في سبيل الله في يوم من الايام، تقول وطن نفسك على ان لا تتعلق بشيء، عشان كذا؟ تخليها تعويدا للنفس، فدي ارباب شنو؟ الرياضات، قام قال شنو؟ قال هم الذي رجاؤهم ان يبلغوا موقفا تصفو فيه هممهم برفض الملذوزات، ولزوم شروط العلم واستقصاء حدود الحمية، الممزوزات الاشياء اللي بيستلذ بها الانسان حتى لو حلال، يحاول يتخلى عنا، ما بيستلذه بل يقف على شروط العلم ويحسن العلم، يعمل بالعلم ويعمل على بصيرة من امره، يتعبد على بصيرة من شنو؟

من امرهم، الدرجة الثالثة قال رجاء ارباب القلوب، هو الرجاء لقاء الخالق، يا سلام، قال الرجاء ارباب القلوب، ترجوا ربنا يرحمه، ويغفر له ويدخلك الجنة، وينجيك من النار، ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ ترجو ان يجيب دعوتك، وان يعطيك سؤلك، وان يقف معك، وان يعينك وان ينصرك وان لا يخذلك، ترجو الله عز وجل، طيب، اجل الرجاء؟ لقاءه، فمن كان يرجو لقاء ربه، في ناس بيرجوا لقاء الله، لقاء الخالق، الباعث على الاشتياق، انت كان قلت انا متمني الاقي الله سوف تصير مشتاقا للقاء الله د الرجاء دا عنده فايدتين، المبغض المنغص للعيش، المزهد في الخلق، انه يلاقي الله، اي حاجة في الدنيا يشوفها مسيخة، لانه يرجو لقاء الله، اذا احب العبد لقاء الله احب الله اشنو؟ لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، وقال موسى ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾، والرجاء الذي هو رجاء لقاء الخالق باعث على الاشتياق، هذا منغص ومبغض للعيش، يخليك انت الدنيا دي ما بتكون يعني متمتع بها، كذلك مزهد في الخلق انت دايم همك كله الله، اي زول للرئيس ملك وزير بيشوفوا العاديين.

يا اخي دي درجة عالية لكن ختم ابن القيم المنزلة بمسألة عجيبة، قال في الدنيا قبل تكلمت عن لقاء الله، من رجا لقاء محبوب في الدنيا، انت مسلا عندك زول بتحبه، متمني شنو؟ تلاقيه، قال من لقي محبوبه، ايزداد شوقه؟ ام يزول باللقاء يزداد شوقه، انت متمني تلاقي فلان الفلاني، في ناس متمنين يلاقوا مثلا يلاقوا السديس، الشيخ عبد الرحمن السديس، صلى الناس كلهم ومنتظرينه لحد بس دايرين يشوفوه كده بس بعيونه وسلمت عليه في ايده، كنت اترجوا لقاءه، تحقق لقاؤه، ايزداد الشوق؟ ام يسكن؟ بتفرح لكن ايزداد الشوق ام يسكن، هذه على حسب احوال شنو؟ احوال الناس وعلى حسب قوة الشوق وكيفه وكمه، يقول ابن القيم من ازداد شوقا الى الله ورجاه ولقيه ازداد شوقا له، لماذا؟ لان النفوس لا تمله، ولان اهل الايمان لا يشبعون من لقائه ثم قال شوف الكلام ده كيف قال وان اجمل ما في الشوق واللقاء انبهارك بعد ان تلقاه انبهارك بعد ان تلقى محبوبك بجماله وروعته في تسمع كلامه؟

خدت لهم منزلة عالية جدا، تنهار هذه المنزلة بلقائه، لكن من اشتاق الى الله، ولقيه في شوق له وهو معه، وذلك لعظمته وجلاله سبحانه وتعالى، نكون بذلك قد انتهينا من منزلة الرجاء من منازل اياك نعبد واياك نستعين من كتاب منازل السائرين.

للاستماع إلى المادة وتنزيلها

mohamedsayed.com/halqa/32/شروح-الكتب/شرح-كتاب-مدارج-السالكين

تابع الحسابات الرسمية للشيخ

فيسبوك
MohammedSayedHaj

يوتيوب
@msayedhaj

تيليجرام
@msahaj

قناة واتساب
قناة الشيخ

إكس
@mohamedsayed_sd

الموقع الرسمي للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله · mohamedsayed.com